

الشعر والفرس.

يتمتع قليل من الناس باحساس راق مهذب ، يفعل انفعالا قويا حينما يشهدون جمال الطبيعة أو يتأملون أسرارها ، وهذا الاحساس السامي لا يصلون إليه من كثرة القراءة والاطلاع ، ولا من كثرة الحفظ والاستظهار ، ولا من تأبط الدواوين والكتب ، وإنما إنهم من تدريب إحساساتهم وتمربتها على التأثير بجمال الطبيعة والتأمل فيما يعمرها من أسرار ، ويشرق عليها من نظم ، وما يزالون يدربون إحساساتهم ، ويمتهدونها بالقرن ، حتى إذا أوفوا من ذلك على الغاية ، وضائق قلوبهم عن حين ما يجيش فيها من عواطف راسلات ، اضطروا اضطراراً إلى اخراج هذا الفيض القلبي متدفقا في هذه الايام الجميلة التي نسميها فنا ، من موسيقى ورسم ونحت وعمارة وشعر ، وما أشبه قلوب هؤلاء الناس بالبورصة الصالحة ترد إليها أشعة الاحساسات الصادرة عن صور الطبيعة المختلفة ، فتحلل فيها ، ثم تنعكس فكرا جميلة ، وصورا بديعة ، وسرعان ما يجد الفنان نفسه مضطرا إلى ابرازها واظهارها لأنه لا يستطيع أن يؤويها في نفسه ، ولا يمكنه أن يخفيها في زوايا قلبه ، فيقدمها للناس في هذه الثياب الساحرة ، ثياب الفن الجميل فتسرعى ألبابهم ، وتستهوى أفتدتهم .

إليها في القول بأن تلك الاشياء المشتركة مصدرها واحد وهو هذه القارة المفقودة ، التي انطلق منها فريق إلى الشرق وآخر إلى الغرب فنتشروا آراءهم وعقائدهم وآلهتهم في عالين بينهما الآن آلاف من الاميال .

وهكذا يرى القارى أن فكرة قارة اطلتس لا تزال مفتقرة إلى دليل أقوى بما بايدينا اليوم ، ولكننا على كل حال يجب أن نرتاح إلى أن موضوعها أصبح اليوم معرضا للبحث العلمي بالاساليب العلمية بعد أن كان مجالا للظن والخيال . ولهذا يسرنا ، أن نسمع الخبر الذي رواه أحد الكتاب في عدد الشهر الحال من مجلة فوربتل من أن بعثة ألمانية قد سافرت حديثا إلى إقليم جزر الأזור لتفتش في قاع البحر عن أدلة جديدة عن هذه القارة المفقودة . محمد عرض محمد .

Cro — Magnon (نسبة إلى ناحية في فرنسا وجدت بها هياكل عظيمة كاملة لأفراد من هذا الجنس) . ولا يعرف أحد على وجه التحقيق من أين جاء هذا الجنس ، الذي ظهر في أوروبا فجأة فأحدث في ثقافتها ثورة هائلة .

والآن يريد أصحاب قارة اطلتس أن يخبرونا أن هذا الجنس إنما جاء من قارتهم المفقودة !

امراض جميل سيخلصنا من مشكلة عويصة وهي نشأة هذا الجنس الذي لا نعرف تماما أين نشأ ، ولكن هل من العقل أن نتخلص من مشكلة لكي نقع في مشكلة أعظم منها ؟

إن القائمين بأن هذا الجنس مصدره القارة المفقودة يزعمون أن هنالك شبا ينسب زيين جنس قديم منقرض وجدت بقاياها في البرازيل . وهذا الزعم لو صح لكان من غير شك حجة قوية لا تدحض ، ولكن أكثر علماء الأجناس لا يرى مطلقا وجه شبه بين هذا الجنس البرازيلي القديم الذي وجدت بقاياها في لاجواسانتا وبين جنس « كرومانيون » .

٢ — في أوروبا شغل اسم شعب الباسك Bosque يعيش على حدود فرنسا وأسبانيا . في الاقليم الملاصق لخليج غسقونية . هذا الشعب القديم يعيش شطره في فرنسا وشطره في أسبانيا ويتكلم لغة ليس لها نظير في لغات العالم كلها . وفي زعم أصحاب نظرية القارة المفقودة أن الباسك هم بقية الاطلانطين الذين هاجروا من قارتهم إلى أوروبا قبل الميلاد بعشرة آلاف سنة . وأن لغتهم تشبه لغات سكان أمريكا الأصليين بينما هي تختلف عن سائر لغات أوروبا .

وهذه الحجة البراهنة لا تستند هي أيضا على أساس متين ، لأن لغة الباسك لا تزال عقدة العقد . وقد رأى فقهاء اللغات فيها آراء متناقضة متضاربة ، ولم يبلغ العلم في أمرها إلى حل مقبول . وليس القول بأنها تشبه لغات أمريكا بأقوى من الرأي الذي يرى شبا بينها وبين لغات البربر في إفريقية ولغة المصريين القدماء .

٣ — أما الأدلة البشرية الأخرى التي يوردها أنصار قارة اطلتس ، فتتعرض في وجود تشابه حقيق أو مفهوم بين بعض العقائد الدينية والعادات والتقاليد والآلهة في العالمين القديم والجديد ، ويجرد ذكر هذه الامور كاف لأن يثبت للقارى . أن هذه الادلة ليست بالشئ الذي يسهل الزكون إليه ، ولا يستطيع أن تستند

والفنون جميعها تعبر عن عواطف مشتركة ، وتسعى إلى غاية واحدة هي اظهار ما في الكون من جمال ، ولهذا الصلة الواضحة بين أنواعها كان لزاما على من يختص نفسه في فرع من فروعها أن يزود ما أمكن بالفروع الأخرى ، وأن يتقف بها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وقد قه الغريون ذلك وعرفوا قيمته فراح شعراؤهم يدرسون الفنون الجميلة ، ويمدون شاعريتهم بما يلزمها من صنوف طعامها ، وألوان رحيقها ، وبينما هم يجدون في ذلك مبالغون فيه ، نجد كثيرا من شعرائنا قد استناموا الى حياة شعرية غريبة ، حياة كلها تقليد وقطعية للفنون ، فهم لا يستمدون غذاء شاعريتهم الا من ذات مائدة ، هي هذه العواوين الشعرية التي ورثوها عن الاقدمين ، يحفظون ألفاظها ، ويجودون أساليبها ويتبنون مثاهم الدنيا في سعادتها وصورها ، فترى الواحد منهم إذا أراد أن يقول شعرا راجع ماقاله القدماء ، والنقط ماشره من ألفاظ وأساليب ، وفتلقوا به من معسان وصور ، حتى إذا اجتمعت اليه مجموعة لأس بها من هذا كله ، سلكها في هذه السلاسل التي يسميها أوزانا شعرية ، وقد نشأ عن ذلك أن قل الابتكار في الشعر . وأصبحنا لا نكاد تأثر أو نحس به لأنه موسيق متكررة توقع من حين لآخر على نغمة واحدة ، وشاعت السرقات الشعرية عن هذه الطائفة من الشعراء ، فاستباحوا حتى أسلافهم الأقدمين وأغاروا على دراوينهم ، واجتلبوا منها سبايا الأساليب والصور ، ولكنها سبايا باردة جامدة لا تنبض قلوبها بحرارة ولا بحياة ، والشركات كثيرا ما تعقد في هذه السبايا ، ولكن الشعر للأسف لا يرجع منها إلا ألفاظا لاغناء فيها ولا قيمة لها ، ولو كان للشعر العربي حكومة لا اتخذت على أيدي هؤلاء المتشاعرين الذين لا يهتمون منا إلا موقع الضوضاء الممقوتة المتكررة ، فحرمت عليهم اجتراح هذا الالئم ، أيا كان لونه ، وأيا كان شكله ، وإذن لاستراح الشعر العربي من عيب تقبل تبعه وشقيه ، وعمره وهضبه وما يدعو إلى العجب أن بعض النقاد أخذ يربب هؤلاء الشعراء ، ويضع أيديهم على ما هم فيه من عيب وقص ، علم يصلحونه أو يتخلصون منه ، ولكنهم يعرضون عنه ، ويصرون على ما يجال آثامهم الشعرية من عيب ، وما يسومها من نقص ، وتضع من وقت لآخر هذه الدعوات المخلصة ، وتذهب كأنها تنفض في رماد ، لا تبعث لها ولا توقد نارا ، أو صبحتي صحراء ، تضع في متسع الاجواء ،

وتفتي في منفسح الآفاق ، ولو أنصف هؤلاء الشعراء أنفسهم لأصاخوا إلى هذه الدعوات المباركة واستجابوا إليها ، وهل يحسن بهم أن يؤثروا العقم على الانتاج ، أو يستحبوا التقليد على الحرية ؟ إنهم لو تدبروا السارعوا إلى تخليص أنفسهم من ذل الجمود ورق التقليد ، ففكروا عن أعناق شعرهم هذه الآفة التي تحاول أن تخنقه على أن هذه الحياة الجديدة التي نأمل فيهم أن يستبقوا إليها ، لن تكلفهم مشقة كبيرة . فإن السيل إليها سهل يسير ، وما عليهم إلا أن يلقوا بحبة من نفوسهم على عوالم الفن الأخرى ، فيفتقروا بها ، ويجدوا في ذلك الشقيف ، حتى يدربوا إحساساتهم ، حاسة حاسة ، تدريبا طويلا ، وأكرظي أن هذا هو السيل الواضح الذي يصل بهم على عجل إلى غايتهم المنشودة ، ولعل من أسس هذه العوالم الفنية بالشعر ، عالم الخطوط والحركة ، أو ما يسمونه باسم « الرسم » في هذا العالم يستطيع الشاعر أن يبرهن إحساساته تمرينا تاما كاملا على التأثير بجمال الطبيعة والانفعال بمشاهدها الرائعة ومظاهرها الساحرة ، ويظن كثير من الناس أن جمال الصورة يتركز في ألوانها وأصواتها ، ولو كان الامر كذلك ، لكانت الصورة قليلة الجدوى ، والواقع أن جمالها البديع يتركز في الخطوط وحركاتها واتجاهاتها . تلك الخطوط التي تعدل الصورة وتقومها وتنتهي بها إلى شكلها الفني الجميل ، أما الألوان فهي شيء إضافي يلحق بالخطوط بعد تكونها ووجودها ، والشاعر كالمصور لا يختلف عنه في شيء الا في المادة التي يصور بها ، وإن في الصورة المجتمعة ، وندرة العناصر ، وتناسب الجمع ، لنوعا ساميا من القوة الالهية كما يقول فلوير ، وأهمية الصورة في الشعر ترجع الى أنه لا يعبر عن الحقيقة كما هي وكما نجد عند النثر ، وإنما يتخذ للانفصاح عنها طريقا آخر ، هو تمثيلها وتمثيلها ، وعرضها في صور خلاصة ورسوم ساحرة ، وهذا هو الذي حدا باليونان منذ القدم إلى أن يخصوا الشعر ببرهان قائم بنفسه ، برهان لا يقوم على اليقين ولا يتخذ مقدماته من المنطق ، وإنما يقوم على الاقتناع والتمثيل ، وتتخذ طريقته من التأثير والتخييل ، ونحن نلاحظ مع الأسف أن الشعر العربي لا يهتم بالصورة الاهتمام الواجب ، وإنما يضع همه كله في الألوان والاضواء ، ولا نكاد نجد فيه الخطوط الكثيرة التي تخلق الصورة خلقا ، وتبتكرها ابتكارا ، وتتم قلبها بالحرارة والحياة ، فمعظم شعرائنا يقفهم

فان قدما نالوا به المتكلم التي تنهى بها ألفاظهم يشبعوا النعمة في هذه الالفاظ ويستمتعون بها التأثير في الوجدان ، وقد زادوا في ذلك فجعلوا لبعضها حرف نداء مخصوصاً هو « وا » ليزيدها قوة في الصورة ، ويتناسب مع شدتها في المنطق ، وهم قد فعلوا هذا كله ليدلوا على الانفعال الوجداني ويكون التأثير في قلب السامع أوفى وأقوى

وليس من شك في أن تنابع المقاطع والأصوات وصور النبرات يحل العقل مستعداً لنعمة خاصة هو ينقل القلب إلى حالات وجدانية متماثلة ، ويتبين هذا في أننا نصبح بعد قراءة بيت أو بيتين من الشعر مبشرين لسامع ما يوافق هذه الحالات الوجدانية التي هيئتها فينا الأصوات والنبرات الأولى ، فإذا فوجئنا بمقاطع ونبرات جديدة أحسنا بالفرق الظاهر والانتقال الواضح ، على أننا يجب ألا نبالغ في ذلك ، فان التأثير الذي يفد البنا من الشعر لا يأتي من الضغط والمقاطع وتشديد الصوت وقوته ، نعم تؤثر فينا هذه الأشياء تأثيرات مختلفة ، ولكن هذه التأثيرات ليست كل شيء في الشعر فان قراءة الشعر ليست نغما خالصا ، ولا شكلا غنائيا تاما

شوقي ضيف
بكلية الآداب

ابن خلدون

حياته وراثته الفكرية

بقلم محمد عبد الله عنان

فيه عرض تقديري مستفيض لحياة المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون وراثته الفكرية والاجتماعية ، ووصف ضاف لآثاره ومنهجه واسلوبه ، واستعراض لجميع المناحيث الفكرية النقدية التي صدرت عنه وعن تراثه . يقع في مائتي صفحة طبع دار الكتب . ويطلب من مؤلفه بلجنة التأليف والترجمة والنشر من جميع المكاتب وثمته ٨ قروش عدا البريد

من الصورة عند هذا النوع التافه الذي يسمونه محازا أو كناية ، وما عرفوا أن هذه الأشياء هي أقل أنواع الصور قيمة بل هي في الواقع لا تزيد على أنها طريق من طرق التعبير ، أما الصورة الصحيحة فهي أسمى من ذلك وأرفع ، ولا بد فيها من تحضير للمواد طویل ، وجمع للعناصر كثير .

وعلاقة الشعر بالرسم علاقة قوية شديدة ، ولكن يظهر أن علاقته بالموسيقى أقوى منها بأي فن آخر ، فقد نشأ معا ، ولكن تقدم الفنون فصل بعضهما عن بعض فاستقل كل منهما بوظيفة خاصة ، على أن الموسيقى لا تزال تحتل الشعر ولا يزال أثرها واضحاً فيه ، والشاعر في الواقع ليس الا موسيقياً ساحراً يلعب بأنامله على قيثارته الشعرية فيطربنا بأنغامه ، ويشجينا بألحانه ، ويأخذنا بفيض وحيه وقوة الهامه . والواجب على شعرائنا أن يدرسوا الموسيقى ، وأن يعنوا بدراستها عناية كبيرة ، فكثير من الألوان التي يؤديها الشعر ترجع الى الموسيقى نفسها ، ولقد استفاد اليونان قديماً من هذه الدراسة فوجسروا طريق الشعر في العقيدة كلها ، بل في الرواية التمثيلية على طولها ، واختلاف أشخاصها خلا الشعر الغنائي الذي كان يتخللها ، ولقد كان الرومان يهتمون الشعر على أنه غناء أكثر منه شيئاً آخر حتى تجاوز بعضهم فسمى الشعراء باسم الموسيقيين ، ويقول بعض النقاد إن الموسيقى هي سر السحر في الشعر وهي نفس صناعته ، وكيفية تأثير الموسيقى الشعرية فينا يختلف فيها النقاد اختلافاً كثيراً ، ومهما يكن فهي تحدث تغيراً في أسلوب الوجدان ، وكل نعمة تصلنا منها تؤثر في أدراكنا ، وترتفع معها نغمات عاطفية في نفوسنا ، ولا ينكر أحد ما للموسيقى الأثر العظيم في الشعر ، فهي ذلك الجمال الخفي الذي يستمد من غير المنظور مؤثرات ساحرة بديعة ، ولقد كان شاكسبير يعنى بها عناية فائقة ، حتى قيل إنه يجب ألا نغفل من أجل الالفاظ ، لكن ينبغي أن ننبه الى أن موسيقى كل لفظة موجودة معها في الالفاظ قبل وجود الشاعر ، ولكن لا ننس أنه هو الذي يختار الالفاظ ، ينفقها ويجمعها في سلك واحد فلا نحس تناقضاً ولا شذوذاً ، وإنما نجد جمالاً مناسباً والتوافق يتجلى فوقها ساحراً بديعاً ، واللغات نفسها تهتم بموسيقى الالفاظ ، ويتضح هذا في اللغة العربية في ألباط الاستعانة والتدبة والتعجب